

الدروس التربوية في وصية الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ت 114هـ/677م

لجابر بن يزيد الجعفي ت 132هـ/705م

(استثمار الوقت انموذجاً)

فاضل كاظم صادق¹

المستخلص

لا زال تراث اهل البيت (عليهم السلام) وسيبقى بحراً زاخراً ومنهلاً ثراً ومعيناً لا ينضب من الأفكار البناءة والقيم الإنسانية العليا التي تعمل على صناعة الانسان السوي القادر على التفاعل مع مجتمعه والمجتمع الذي يأخذ بيد الآخرين نحو الرقي والتقدم.

وفي عالمنا اليوم نواجه جملة من الازمات الاجتماعية والمشاكل النفسية والعقد المستعصية التي تستهدف النيل من الانسان في سلوكه ووجوده كعنصر عليه مسؤولية البناء والاعمار على سطح هذا الكوكب إذ كلفه الله تعالى بهذه المسؤولية في خلافته على الأرض بيد أن هذا الانسان أخذ يواجه ما يواجه من صعوبات مختلفة سيما من الامراض النفسية والطباع السلوكية الغير صحيحة الأمر الذي يستدعي ضرورة الاستفادة من تراث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ففيه الكثير من أسباب الشفاء.

وربطاً مع ما تقدم جاء اختيار موضوع هذا البحث المتضمن قراءة وصية الامام محمد الباقر (عليه السلام) لجابر بن يزيد الجعفي إذ المتأمل الباحث فيها يجد جملة من الدروس التربوية التي تعمل إذا ما تم الأخذ بها ستفعل فعلها في صناعة سلوكيات إنسانية صحيحة تعمل على بناء الانسان من نواحيه المادية والمعنوية.

قسم البحث الى اثنين من المباحث جاء الاول حديثاً عن الدرس التربوي عند الامام محمد الباقر عليه السلام من خلال مقولاته القيمة التي حث فيها الناس على أهمية فعل الخير والعمل الصالح والسلوك الحسن والتعامل الأمثل مع أبناء المجتمع من خلال سلوك مهذب قوام على المودة وابداء العون والمساعدة للآخرين وصلة الرحم وغيرها.

أما المبحث الثاني فكان اختياراً لموضوع استثمار الوقت باعتبار واحد من الدروس التربوية التي اشار اليها الامام عليه السلام في وصيته الى جابر بن يزيد الجعفي وأهمية انتهاز الفرصة وعدم تضييع الوقت والحرص على تنظيمه وتجنب التسويف والحذر من الغفلة والتواني في انجاز الاعمال والواجبات.

الكلمات المفتاحية: وصية الامام الباقر، جابر بن يزيد الجعفي، تراث اهل البيت، الدروس التربوية، استثمار الوقت

The Will of Imam Muhammad al-Baqir (Peace be upon him) d. 114 AH / 677 AD

By its Owner, Jabir Bin Yazid Al-Jaafi, d. 132 AH / 705 AD

(Investment of Time as an Example)

Fadhil Kadhim Sadiq¹

Abstract

The legacy of the People of the House (peace be upon them) is and will remain a rich and inexhaustible pool of constructive ideas and high human values that work to create a healthy human being capable of interacting with his society and a producer who takes the hand of others toward advancement and progress.

In our world today, we face a number of social crises, psychological problems, and intractable complexes that aim to harm man in his behavior and existence as an element that has the responsibility of building and rebuilding on the surface of this planet, as God Almighty entrusted him with this responsibility in his caliphate on earth. However, this man began to face the various difficulties he faces. Especially psychological illnesses and incorrect behavioral patterns, which necessitate the need to benefit from the heritage of the Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them), as it contains many reasons for healing.

In connection with the above, the topic of this research was chosen, which includes reading the will of Imam Muhammad al-Baqir (peace be upon him) to his companion, Jabir bin Yazid al-Jaafi, as the meditator who researches it will find a number of

انتساب الباحث

¹ كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق،
ذي قار، 64001

¹ dr.fadhil.kadhimi@gmail.com

المؤلف المراسل

معلومات البحث
تأريخ النشر : أيار 2025

Affiliation of Author

¹ College of Arts, Thi Qar
University, Iraq, Thi Qar,
64001

¹ dr.fadhil.kadhimi@gmail.com

¹ Corresponding Author

Paper Info.

Published: May 2025

educational lessons that, if taken into account, will work in creating correct human behaviors that work to build... Man in his material and moral aspects.

The research was divided into two sections. The first was a talk about the educational lesson of Imam Muhammad al-Baqir, peace be upon him, through his valuable sayings in which he urged people on the importance of doing good, good deeds, good behavior, and optimal dealing with members of society through polite behavior based on affection and showing help and assistance to others. Family ties and others.

As for the second topic, it was a choice of the topic of investing time as one of the educational lessons that the Imam, peace be upon him, referred to in his will to Habir bin Yazid Al-Ja'fi, and the importance of seizing the opportunity, not wasting time, being careful to organize it, avoiding procrastination, and beingware of heedlessness and delay in completing work and duties.

Keywords: Imam Al-Baqir's Will, Jabir Bin Yazid al-Ja'fi, heritage of Ahl al-Bayt, Educational Lessons, Investment of Time

المقدمة

فخر واعتزاز إذ فنى الامام عمره الكريم في مرضاة الله فكان كل عمله خالصاً لوجهه تعالى.

ومن تراثه الفاضل وفكره اللامع ما أدلى به من وصايا وحدث به من أقوال وجكم وكلمات لها أثرها في توجيه الناس وحثهم نحو طريق الصواب والفضيلة وكان ضمن ذلك تلك الوصية الخالدة التي أوصى بها تلميذه جابر بن يزيد الجعفي⁽²⁾ التي حوت على معارف ودروس تربوية وحكم مختلفة فهي بحق خارطة طريق ناصعة نحو حياة كريمة سعيدة سيعيش سعيداً من يأخذ بقيمتها وما حوته من منارات هدى وسبل هناء وكرامة.

ومن هذا المنطلق جاء اختيار موضوع البحث لتسليط الضوء على ما حوته هذه الوصية الباقرية من دروس مختلفة في التربية والخلق الكريم.

فجاء المبحث الأول حديثاً عن طبيعة الدرس التربوي عند الامام البقار وأثره في التربية وتكوين السلوك الإنساني من خلال عرض لعدد من مقولاته القيمة.

اما المبحث الثاني فتم تسليط الضوء على تلك الوصية الخالدة من دروس تربوية وهي كثيرة ولأن الأمر كذلك فقد تم اختيار استثمار الوقت ودوره في بناء شخصية الفرد انموذجاً لهذه الدروس باعتبار ان الوقت في الحرص عليه وتنظيمه واستثماره بشكل صحيح هو العامل الأكبر في نهضة الشعوب والأمم إذ ما وُجّه هذا الوقت بشكل صحيح ووزع بشكل امثل.

ما أحوجنا في هذه الأيام الرجوع الى فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام ننهل من عملهم ونستنير بمقولاتهم ونهتدي بترائهم الخالد طريق منار وعلامة تقى وبرنامج صلاح وإصلاح متكامل فحياتنا المملوءة أزمات ومشاكل ليس لها من دواء ناجع وعلاج فاعل إلا في الرجوع الى كتاب الله المجيد القرآن الكريم وسنة الرسول الاكرم محمد بن عبد الله ﷺ وبعدهما الى هذا التراث الثر والارث المبارك وهو لعمرى فكر الأئمة الأطهار عليهم أفضل الصلاة والسلام فليس من مشكلة سياسية اقتصادية اجتماعية نفسية... الخ إلا ولها توصيفات وحلول واقعية عقلية حواها وتضمنها هذا الفكر المشحون حيوية وقدرة على البقاء والاستمرارية والتعامل مع مختلف الأزمنة والعصور.

وتأسياً على ما تقدم لنا في امامنا محمد الباقر عليه السلام أسوة حسنة وقدوة طيبة في الإشارة الى الكثير من مقاماته ومقالاته في دروس للحياة تربوية قادرة تنشئة صالحة للفرد والمجتمع تفعل فعلتها في بناء الانسان ورقيه وتقدمه تقويماً لسلوكه وصناعة لشخصية وحلولاً لمشاكله وتذليلاً لازماته وصعوباته.

والامام محمد الباقر بن الامام علي السجاد بن الامام الحسين بن الامام علي بن أبي طالب عليهم السلام جميعاً ونحن هنا ليس بصدد الحديث عن شخصه الكريم وحياته المشرقة الوضاءة بالخير والعطاء والعمل الصالح فهو أشهر من نارٍ على علم فالامام الباقر عليه السلام المولود سنة سبع وخمسين من الهجرة المباركة من سنة سبع وسبعون وستمئة ميلادية والمتوفي عليه السلام سنة مائة وأربعة عشر هجرية ، في السنة الميلادية سبعمائة وثلاث وثلاثون ميلادية⁽¹⁾ وبين الولادة والوفاة تاريخ حافل ألمعي مشرف محل

المبحث الأول

الدرس التربوي في مقولات الامام محمد الباقر (عليه السلام)

المتمعن في مقولات الامام الباقر عليه السلام يراها وقد ملئت دروساً في التربية والأخلاق فتضمنت من الأفكار والقيم ما يجعلها دروساً نيرة في نهج الحياة ومنطلقاً قوياً نحو بناء الشخصية المهيبة الخيرة التي تستطيع مواكبة تطور الحياة فهي صالحة في كل الأوقات والأزمنة لأنها أصلاً تحاكي النفس الإنسانية إذ تستوعبها هذه النفس وتتفاعل معها بكل صدق واطمئنان وأريحية

أملنا في ذلك اعطاء نماذج لهذه المقولات على سبيل المثال وليس للحصر فهي مقولات كثيرة لا يمكن الامام بها في مبحث مركز من هذه الدروس التربوية دعوه الامام عليه السلام للتكافل والتعاون بين أبناء المجتمع الواحد وهي ضرورة في شعور الناس ببعضهم البعض حتى يُخْلَقُ أخيراً مجتمعاً صالحاً خيراً وهو الهدف السامي الذي يطمح الإسلام لتحقيقه في هذا المعنى قال الامام الباقر (عليه السلام): أربع من كن فيه أسكنه الله في أعلى عليين من آوى اليتيم فكان له أباً ومن رحم الضعيف وأعانه وكفاه ومن أنفق على والديه ورفق بهما ولم يحزنهما ولم يحرف لملوكه وأعانه على ما يكلفه ولم يستسعه فيما لا يطيق⁽³⁾ في هذه المقولة الإنسانية جملة من الصور الحية في موضوع المعاملة الرحيمة التي تدعو الى جعل الانسان القيمة العليا في هذه الحياة فهي المكانة التي أعطاها الباري جل وعلا لما فضله على الكائنات وسخر له ما في السماوات والأرض من الصور والدروس التربوية الحية إيواء اليتيم وأبوته ورحمته الضعيف المحتاج ثم أعانته وكفانيته فقد قدم عليه السلام الرحمة قبل كل شيء فهي تستوعب جميع خطوات وإجراءات العون والمساعدة فبعد الرحمة يأتي العون وتقديم ما يكفي لهذا الضعيف من إمكانات وقدرات مادية بعدها بر الوالدين في الاتفاق عليها والرفق بهما وعدم عمل أي شيء يحزنهما وأخيراً مساعدة المملوك ومعاونته على ما يُكَلَّفُ به من أعمال وعدم تحميله ما لا يطيق من واجبات قد تكون قاسية عنيفة.

وفي درس تربوي آخر أشار الامام الباقر (عليه السلام) إلى أهمية التحلي بالصبر الذي يعد عبوراً ووصولاً الى منتهى الخير وعاقبة الفوز بالجنة فهي الهدف الاسمي فسبحانه وتعالى قد بشر الصابرين بوفاء أجورهم دون حساب جزاءً على صبرهم الجميل : (... إِنَّمَا يُؤَفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠)⁽⁴⁾ ولقد أوضح الامام الباقر هذا المصدق بقوله: (الجنة محفوفة بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة وجهنم محفوفة بالذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذتها وشهواتها دخل النار)⁽⁵⁾ فالصبر

على المكاره ترويضاً للنفس الإنسانية فهو يخلق القدرة لدى الانسان على الثبات في عدم الانجرار نحو مستنقع الرذيلة والخطيئة التي يصنعها المحرم من الشهوات الدنيوية تلك التي تذهب لذتها سريعاً وتبقى تبعاتها السلبية أمداً طويلاً وفي ذلك قال أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام): (شتان ما بين عمليين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنثته ويبقى أجره)⁽⁶⁾ فالعمل الصالح وإن أنفق عليه من المال والمؤونة غير أن ثوابه في الأجر والثواب يبقى في عين الله وفي سجل تاريخ المؤمنين.

فالامام الباقر (عليه السلام) قد ربط بين الصبر والفوز بالنعيم فهي العاقبة الحسنة التي ينشدها بني البشر بأجمعهم.

ومن صور الارشاد في التربية الحسنة والأخلاق الحميدة، حث الامام الباقر (عليه السلام) على حسن الصحبة وقلة الكلام إلا في عمل الخير والاكتثار من ذكر الله ونظافة الثياب والمحافظة على غسل الجسم وغض البصر وتفقد أهل الحاجة ومواساتهم والابتعاد عن الخصومة والجدال فهذه من جملة الأخلاقيات التي أوضح (عليه السلام) الالتزام بها من قبل الناس الذين يذهبون للحج والعمرة⁽⁷⁾.

وفي إشارة الى أهمية حسن العاقبة ووجوب أن يلاقي الانسان ربه وهو راضٍ عنه مدح (عليه السلام) الحسنات التي تأتي بعد السيئات ودم السيئات التي تأتي بعد الحسنات⁽⁸⁾. وفي ذلك تحفيز على تدارك الانسان لنفسه في عدم خاتمة حياته بالفعل السيء القبيح فهذه الحسنات التي تُفْعَلُ أولاً فهي منارة خير وهداية فمن القبح على بني آدم تركها والذهاب الى عالم السوء والذنوب فهذه البداية الحسنة لا بد أن تعمل عملها في تقويم سلوك الانسان في عدم الانجرار نحو الطريق الخاطئ وهكذا يفهم من قول الامام أن لا فائدة في بداية حسنة ونهاية سيئة فيجب الاستفادة من الشروع الصحيح الحسن في الديمومة حتى النهاية فالعقل يقول بوجوب السير في هذا الطريق ما زال صحيحاً حتى النهاية إذ أن البدايات الصحيحة تقود الى النتائج الصحيحة وهذا منطق العقلاء.

ومن الدروس التي نحتاجها هذه الأيام والتي أكد عليها الامام الباقر (عليه السلام) هي عفة البطن والفرج قائلاً: (ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج)⁽⁹⁾ وعنه عليه السلام وقد أجاب رجلاً قال له أني ضعيف العمل قليل الصيام ولكني أرجو أن لا أكل إلا حلالاً فقال له (عليه السلام): أي الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج⁽¹⁰⁾. وورد هذا الحديث بصيغة أخرى إذ سأل هذا الرجل الامام قائلاً إني قليل الصلاة قليل الصوم ولكن أرجو أن اكل إلا حلالاً ولا أنكح إلا حلالاً فقال (عليه السلام) وأي جهاد أفضل من

عفة بطن وفرج (11). وفضيلة العفاف هذه قد ورد ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿...وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ...﴾ (12) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْجُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۚ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (13) وفي ذات المعنى قول رسول الله ﷺ (أحب العفاف الى الله عفاف البطن والبطن) (14) وقول أمير المؤمنين الامام علي عليه السلام (إذا أراد الله بعبد خيراً أعف بطنه وفرجه) (15) وفي استشراف لما سيحدث للمسلمين في قابل أيامهم قال رسول الله ﷺ: (ثلاث أخافهن على أمتي بعدي الضلالة بعد المعرفة ومضلات الفتن وشهوة البطن والفرج) (16) وكان رسولنا الكريم تنبأ ماذا سيقع في المستقبل فما أكثر الناس التي تعبد شهوات الفرج والبطن والانقياد إليها بطرق الحرام المختلفة من وسائل غير شرعية فهؤلاء سيدخلون النار بسبب ذلك كما جاء في حديثه ﷺ: (أكثر ما تلج فيه أمتي النار الأجوفان البطن والفرج) (17) ومن هذا المنطلق أكد الامام الباقر عليه السلام على وجوب سلامة وعفاف في ما يُأكل وفيما يُنكح فتلك من أهم أفعال الانسان إذ وصفها الامام في مقابلة ومساواة قيم إنسانية عالية حسن اعتبارها أفضل عبادة وأقوى جهاد فالورع والتقوى في اختيار الطعام الحلال الطيب والابتعاد عن الزنا فهي دروس تربوية رائعة تعمل بقوة على تقويم السلوك الإنساني وقد حذر سبحانه وتعالى من أكل المال الحرام ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ١٨٨﴾ (18) فالأموال التي تأتي بالباطل لها من الآثار السلبية الشيء الكثير قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۚ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ﴾ (19) وفي حديث آخر حذر رسول الله ﷺ كيف أن الناس في زمان مستقبلهم لا يتورعون من أكل المال الحرام لا يتوقفون ملياً ولا يدققون في مصادر حصولهم على أموالهم فكل همهم الحصول عليها دون النظر الى جهات جنيتها قاتلاً (يأتي على الناس زمان لا يبالي الناس فيه من أين اكتسبوا أمن حلال أم حرام) (20).

أما عفة الفرج فهي مشكلة بل أزمة معاصرة تعاني منها أغلب المجتمعات ومنها الإسلامية في وقتنا الحاضر فكثيراً من النساء والرجال لا يتورعون من فعل الحرام دون حياء ووجل وخوف من الله تعالى الذي حذر من تلك الممارسات قاتلاً جلّ وعلا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّبَا ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝ ٣٢﴾ (21). وحدث رسول الله (إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أملوا بأنفسهم عذاب الله) (22).

وعن الصلبة الصالحة والرفقة الحسنة التي هي الآن نحن بمسيس الحاجة إليها فما أكثر ما تحدث المشاكل وتحل الكوارث وتكون المصائب بسبب رفاق السوء وأصحاب الرذيلة فيذهب من يذهب من الشباب في مزالق الفضيحة ومهاوى الخطيئة وهنا تقع المسؤولية على عواتق أولياء الأمور في تشديد سلوك أبنائهم نحو الصواب والفضيلة من خلال اختيار القدوات الصالحة في ذلك روى الامام محمد الباقر عن أبيه الامام السجاد عليهما السلام وهو يوصيه: (انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تتحدثهم ولا ترافقهم في طريق فقلت يا أبا من هم قال إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب اليك البعيد ويبعد عنك القريب وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بانهك بأكله أو أقل من ذلك وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما نكون إليه وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد ان ينفعك فيضرك وإياك ومصاحبة قاطع الرحم فأني وجدته ملعوناً بكتاب الله) (23).

ومن الدروس التربوية والتي في معرفتها تقويماً للسلوك الإنساني هو الجد والمثابرة في التحصيل العلمي وفي ذلك حث الامام الباقر عليه الى ضرورة فعل هذا بقوله: (سارعوا في طلب العلم فالذي نفسي بيده لحديث واحد في حلال او حرام تأخذه عن صادق خير من الدنيا وما حملته من ذهب وفضة) (24). وفي حديث آخر له عليه السلام (تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه صدقة وأنس في الوحشة وصاحب في الغربة ورفيق في الخلوة ودليل على السراء وعون على الضراء ودين عند الاخلاء سلاح على الأعداء يرفع الله به قوماً فيجعلهم في الخير سادة وللناس أئمة يقتدى بأفعالهم) (25).

أوجز الامام الباقر عليه السلام بكلمات رائعة معبرة أهمية العلم في حياة الانسان وكيف يفعل العلم فعله في البناء التربوي الذي يتمثل في صفات الشخصية البشرية حتى يجعل سلوكها قوياً ولعل الأدل في هذا قوله عليه السلام عن العلم (يرفع الله به قوماً فيجعلهم في الخير سادة وللناس أئمة يقتدى بأفعالهم) كيف ساد هؤلاء وتقدموا على أقرانهم بالخير وصاروا أئمة وقدوات يسير الناس على خطاهم ويتبعون هداهم؟ كل هذه المنزلة حصلوا عليها لاجتهادهم في طلب العلم وحملهم له وتعليمهم للآخرين فصار يشار إليهم بالبنان يتبعهم الناس فهم على مسار قويم وسلوك حميد.

وفي جانب التربوي نقرأ المقولات الأخرى للامام الباقر عليه السلام في توصيف النماذج المختلفة للناس من فعلهم للخير أو ميلهم للشر فمثلاً قوله: (القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشر فيه

يعتلجان فإيهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة وهو قلب المؤمن⁽²⁶⁾.

نستشف من هذا القول أنه دعوة واضحة للإيمان وكيف انه يعمل على خلق قلوب خيرة تنشد دوماً سعادة الآخرين فأصحاب تلك القلوب وكما وصفهم عليه السلام أنهم مصابيح تزهر مضيئة فقوة الضياء فقوة هذا الضياء هي وصف مجازي عن مدى فعل الإيمان وأثره في نفوس هؤلاء فأصبح الخير في قلوبهم مدعاة ضياء وهاج ينير للآخرين ما يرمون الحصول عليه من سلامة وتوفيق وسؤدد وهنا يتبين فضل الايمان والمؤمنين عكس الكافر هذا الذي لا يعي قلبه من عمل الخير شيئاً فهو منكوس مقلوب ليس له من الفعل الحسن مرتبة وأما المثال الآخر فذاك الذي يعيش حالة من القلق والصراع ولعله يعاني من العذاب والحسرة نتاجاً وأثراً لهذا الذهاب يميناً ويساراً إذ لا قرار له فمرة يذهب نحو الخير ومرة نحو الشر وهذا مثال لا يحتذى به ولا يمكن الركون إليه فهو بين الايمان وعدمه.

إذن لا بد من اختيار طريق الايمان ذلك الذي يصنع ويروي شخصية الانسان ويوجه سلوكها نحو طريق الخير والمحبة فكثيراً ما اقترن الايمان في آيات القرآن الكريم إذ العمل الصالح هو كل فعل خير قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ﴾ (27). وقد وصف الامام علي عليه السلام الايمان انه العمل الصالح بقوله: (الايمان هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والاقرار هو الأداء والأداء هو العمل)⁽²⁸⁾.

ومن الدروس المهمة هي تربية الناس على حسن المعاملة والتعايش مع بعضهم الآخر وفي ذلك مقولات مهمة للامام الباقر منها قوله عليه السلام: (البِشْرُ الحسن وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة وقربة من الله وعبوس الوجه وسوء البشر مكسبة للمقت وبعد من الله)⁽²⁹⁾ إذ يرى الامام الباقر أن الذين هو الحب والحب هو الدين⁽³⁰⁾. حيث ما عبد الله بشيء أحب اليه من ادخال السرور على المؤمن⁽³¹⁾.

وهناك دروساً مهمة تحت على التكافل والتعاون بين أبناء المجتمع في قضاء حوائج الناس ومساعدة المحتاجين فخلافاً ذلك يحل غضب الله وعدم رضاه على الناس وفي ذلك قال الامام الباقر (إذا رأيت الفاقة والحاجة قد كثرت وأنكر الناس بعضهم بعضاً فعند ذلك فانتظر أمر الله عز وجل)⁽³²⁾. وقوله عليه السلام في الحث على مساعدة المحتاجين والفقراء من أبناء المجتمع (لأن أعول أهل البيت من المسلمين أسد جوعتهم وأكسو عورتهم فأكف

وجوههم عن الناس أحب الي من أن احج حجة وحجة ومثلها ومثلها حتى بلغ عشر ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين)⁽³³⁾.

وعن خطورة اقتراف الذنوب على الفرد والمجتمع حذر الامام عليه السلام من مغبة المعاصي وارتكاب الذنوب قائلاً: (نعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء وتقرب الآجال وتخلي الديار وهي قطيعة الرحم والعقوق وترك البر)⁽³⁴⁾ وفي نفس المعنى ورد عنه عليه السلام: (عجباً لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار)⁽³⁵⁾.

وفي درس آخر تحدث الامام الباقر عن الوفاء والإحسان والأمانة والتعامل بصدق مع كل الناس بغض النظر عن أجناسهم وديانتهم والوانهم بقوله: (ثلاثة لم يجعل الله لأحد فيهن رخصة أداء الأمانة الى البر والفاجر والوفاء بالعهد للبر والفاجر وبر الوالدين برين كان أم فاجرين)⁽³⁶⁾.

وحدث الامام عليه السلام على حسن التعامل مع الناس في القول والفعل قائلاً: (قولوا للناس ما تحبون أن يقال لكم فإن الله ييغض اللعان والسباب والطعان عن المؤمنين ويحب الحي الحليم العفيف المتعفف)⁽³⁷⁾.

فكان الامام الباقر عليه السلام يوصي شيعته ويأمل منهم أن يكونوا بهذا المستوى من الخلق الرفيع (إنما شيعة علي إذا غضبوا لم يظلموا وإذا رضوا لم يسرفوا بركة من جاوروا سلم لمن خالطوا)⁽³⁸⁾.

وفي باب التواصل مع الارحام حث عليه السلام على ضرورة ذلك موضعاً أن له من الآثار الإيجابية فهي تزكي الاعمال وتكثر الأموال وتدفع البلاء وتنسى الأجل)⁽³⁹⁾.

المبحث الثاني

دروس تربوية من الوصية الباقرية

استثمار الوقت انموذجاً

تضمنت وصية الامام محمد الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي جملة من الدروس التربوية التي من شأنها تقويم سلوككم الفرد وتوجيهه نحو الإنتاج والعطاء فيصبح انساناً أكثر فاعلية وصلاً في مجتمعه فأولى هذه الدروس الدعوة الى اغتنام الوقت واستثماره بالشكل الصحيح وخلق روح المبادرة فكلما كان الانسان مبادراً مسارعاً في الخير والعمل الصالح كلما كان ذلك أدعى وأسمى في خلق روح الإبداع والنهضة لأي مجتمع، وثقافة استثمار الوقت ما

انتشرت بين أفراد أي شعب حتى ارتقى صهوة المجد وأمتلك ناصية العلم والتطور.

تبدأ الوصية بقول يحث على الاستفادة من الوقت واغتنامه بقوله عليه السلام (يا جابر اغتنم من اهل زمانك خمساً إن حضرت لم تُعرف وأن غبت لم تُفتقد وإن شهدت لم تشاور وأن قلت لم يُقبل قولك وإن خطبت لم تزوج)⁽⁴⁰⁾ هذا النص الذي يوضح كيف أن المجتمع في وقت من الأوقات ولأسباب مختلفة وتحت ظروف معينة لا يتفاعل ويتعامل مع من هم أصحاب حق يدعون الى صراط قويم وطريق صحيح فيتجاهلهم الناس وهنا التفاتة مهمة في غاية الذكاء والروعة فهذا الشخص الغير مرغوب فيه عليه أن لا يحزن أو ييأس وتصيبه حالة من النكوص والتفوق حول نفسه بل العكس عليه أن يرى في جحود المجتمع له فرصة مناسبة يستثمرها في العمل الدؤوب تقومك أصلاً على تنظيم وقته واستثماره بشكل جيد مستغلاً انشغال المجتمع عنه فيعمل لصالح نفسه خاصة ولنفس هذا المجتمع بشكل عام.

ولعل الامام عليه السلام أراد من ذلك صناعة انسان قوي العزيمة والإدارة يقفز من خلالها هذا الفرد على كل ما يواجهه من سوء تعامل من أبناء مجتمعه بدليل ما جاء بقوله مباشرة (وأوصيك بخمس أن ظلمت فلا تظلم وأن خانوك فلا تخن وأن كذبت فلا تعضب وإن مُدحت فلا تفرح وأن دُممت فلا تجزع)⁽⁴¹⁾.

وتبدو دعوة الامام عليه السلام واضحة في مقابلة الإساءة بالإحسان فكثير من الناس ينشغلون كثيراً ويسخرون المزيد والكثير من وقتهم في كيفية الرد على هذا الذي أساء وذاك الذي فعل كذا فالمطلوب تجاوز كل ذلك والمبادرة باتجاه فعل الخير إذ لا وقت كثيراً حتى يصرف بالخصام والصراع بين أبناء المجتمع الواحد.

يذكرنا الله سبحانه وتعالى العمل ضمن دائرة المبادرة والمسارة في استباق الزمن في قوله الكريم: (... فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٤٨)⁽⁴²⁾ وأضفى سبحانه وتعالى على المبادرين في فعل الخير أوصافاً جميلة رائعة في قوله عز من قائل (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيَابِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أُنْهَتْ إِلَى رَبِّهِمْ رُجُوعُونَ ٦٠ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١)⁽⁴³⁾ واعتبر سبحانه وتعالى الأسرع والسبق لفعل الخير من الفضائل الكبرى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ٣٢)⁽⁴⁴⁾ . وفي الحديث النبوي الشريف جاءت الدعوة في المبادرة

للعمل الصالح واضحة بقوله ﷺ (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً فيصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)⁽⁴⁵⁾

ومن هنا نستنتج أن الإسراع في فعل الخير واستغلال الوقت في هذا الامر هو سبب للنجاة من الفتن والمشاكل الاجتماعية كما أثار النبي الأكرم ﷺ وله حديث آخر في نفس المعنى (بادروا بالأعمال سبقاً هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر)⁽⁴⁶⁾ . وفكرة هذا الحديث الشريف التنبيه الى استثمار الوقت الذي هو فيه من القوة والصحة في فعل الخير والعمل الصالح ذلك الذي أشار إليه الامام الباقر عليه السلام في نفس هذه الوصية (فبادر بانتهاز الفرصة ولا إمكان كالأيام الخالية مع صحة الابدان)⁽⁴⁷⁾ وفي نفس المعنى قال الامام علي عليه السلام (بادروا بالأعمال عمراً ناكساً ومرضاً حاسباً أو موتاً خالساً)⁽⁴⁸⁾ وقوله أيضاً (بادروا آجالكم بأعمالكم فأنكم مرتنون بما اسلفتم ومدينون بما قدمتم)⁽⁴⁹⁾ وكذلك (بادروا بعمل الخير قبل أن تنشغلوا بغيره)⁽⁵⁰⁾ . وفي نفس المعنى قال الامام الباقر عليه السلام (من هم بشيء من الخير فليجعله فأن كل شيء فيه تأخير فأن للشيطان فيه نظرة)⁽⁵¹⁾ فالأمر لا يقبل التأخير والتأجيل فيمجرد اتخاذ قرار فعل الخير فالأمر يتطلب الشروع مباشرة بخطوات العمل المطلوب لأن في التواني الكسل الذي يقود أخيراً الى الضجر ثم العجز والجزع حتى ينتهي الأمر الى الفشل وهو ما أوضحه الامام الباقر في ذات الوصية في حديثه عليه السلام عن التسويف والمماطلة وعدم الاقدام عن انجاز العمل (وياك والتسويف فإنه بحر يغرق فيه الهلكي)⁽⁵²⁾ فالتسويف من الامراض الشائعة سيما في المجتمعات التي لا تعطي للوقت من الأهمية وهي من دلالات تخلف تلك المجتمعات فكثيراً ما يؤخر الناس أعمالهم يقولون غداً سنعمل كذا وكذا ثم يأتي الغد لا يفعلون فيأجلون إلى أيام لاحقة بعدها لا شيء يتحقق فكل ذلك تسويف ومماطلة فهنا اعتبر الامام التسويق عبارة عن بحر يغرق فيه هؤلاء المسوفون المؤجلون لأعمالهم والمؤخرون لواجباتهم فهم بذلك وقد أضاعوا الوقت دون طائل وإنتاج.

وعن أهمية الوقت في حياة الانسان ووجوب استثماره بالشكل الصحيح وعدم اضاعته قول رسول الله: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)⁽⁵³⁾ فالمغبون هنا في حديث النبي الأكرم هو من ضيع وقته وخسر فرصته في الحياة دون تحقيق شيء فهو لم يستفد من قوة بدنه في خلوه من المرض ووقت فراغه في العمل وقال صل الله عليه وآله وسلم (اغتنم خمساً قبل خمس

حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك⁽⁵⁴⁾.

وهنا يظهر المعنى واضحاً في أهمية بل وجوب الإسراع والمبادرة في استثمار الوقت في اغتنام فرص قبل وقوع أشياء أخرى وهي ثنائيات متضادة فالحياة نقيضها الموت والصحة نقيضها المرض والسقم والفراغ نقيضه الانشغال وملئ الوقت والشباب نقيض الهرم والمشيب والغنى معاكسه الفقر فالتسويق والتواني في اغتنام وقت معين يسرع اليه نقيضه فيأخذ الوقت فالذي لا يستفيد من الحياة وهي عمر الانسان يأتيه نقيض الحياة وهو الموت كذلك هي الصحة والفراغ والشباب والغنى فإذا لم توظف لمصلحة الانسان نفسه سيخسر هذا الانسان الكثير من فرص الحياة في البناء والانتاج وكل ذلك العامل المهم واللاعب الأوحده وهو الوقت الذي لا يرحم من ضيعه وليس له من العود أمراً أبداً.

ونهى رسول الله عن التسويف وهدر الوقت وعدم الحرص عليه قائلاً: (يا أبا ذر إياك والتسويف بأملك فأنتك بيومك وليس بما بعده فإن يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم وإن لم يكن غد لك لم تتدم على فرطت به في اليوم)⁽⁵⁵⁾ وفي نفس السياق قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (فتدرك ما بقي من عمرك ولا تقل غداً وبعد غداً فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الاماني والتسويف حتى أتاهم أمر الله بغته وهم غافلون)⁽⁵⁶⁾ وفي نفس المعنى قال الامام علي عليه السلام وهو يتحدث عن الانسان الغافل المسوف (فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يزين له المعاصي ليركيبها ويمينه التوبة ليسوفها ، إذا هجمت منيته ليه أغفل ما يكون عنها)⁽⁵⁷⁾ وله درر أخرى في بيان هذا المقال (لا دين لمسوف في توبته)⁽⁵⁸⁾ وكذلك (لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ويُرْجى التوبة بطول الأمل إن عرضت عليه شهوة أسلف المعصية وسوف التوبة)⁽⁵⁹⁾ وكذلك جاء عن الامام زين العابدين في مناجاته مع ربه الكريم عز وجل (واعني بالبكاء على نفسي فقد أفنيت بالتسويف والأمال عمري)⁽⁶⁰⁾.

وهكذا نخلص الى ما يحصل للإنسان وهو يبدد وقته تسويفاً مؤملاً نفسه بالحصول على آمال هي أمنيات فارغة وسراب لا منفعة له.

ويستمر الامام الباقر عليه السلام بالإرشاد والنصح في الأخذ بزمزم المبادرة لتدراك الوقت واغتنام الفرصة إذ قال في وصيته لجابر : (وإياك والتواني فيما لا عذر لك فيه فأليه يلجأ النادمون)⁽⁶¹⁾ ولعل التواني من صور التسويف فالحرص على استثمار الوقت لا يتمشى مع التواني سيما الأمور والقضايا التي ليس فيها عذر أو سبب ليؤخر هذا العمل أو ذاك وقد حذر الامام من مغبة التواني

مشير الى أنه مدعاة للندم والأسف الذي لا يفيد ولا يغني من شيء بعد وقوع المحذور وضياح الوقت ومن التواني الضجر والكسل وعن ذلك قال الامام الباقر عليه السلام (الكسل يضر بالدين والدنيا)⁽⁶²⁾.

وهنا يؤشر الامام علي عليه السلام الأثر السلبي للكسل على الانسان في الحياتين الدنيا والآخرة فهو عامل تأخير للأعمال الموكلة بإنجازها والتي في حال تعثرها تأتي بنتائج وتداعيات خطيرة على تطور الفرد والمجتمع وبسبب هذا ورد عن الامام الباقر عليه السلام: (إني لأبغض الرجل أو أبغض للرجل أن يكون كسلاناً عن أمر دنياه ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل)⁽⁶³⁾.

وما يرتبط بضياح الوقت عند الامام الباقر عليه السلام موضوع الغفلة محذراً من الوقوع فيها من آثارها الضارة قساوة القلب وهي صورة توضح ضياح الوقت وهي في اللغة ترك الشيء سهو وربما كان عمداً⁽⁶⁴⁾. وفي الاصطلاح قلة التحفظ واليقظ⁽⁶⁵⁾ وأيضاً متابعة النفس على ما تشتهي⁽⁶⁶⁾ وقد وردت في القرآن الكريم مرات عديدة منها قوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾⁽⁶⁷⁾ إذ من أكثر أسباب الغفلة الار بالدين وتقدير الشهوات والملذات على الاعمال الصالحة التي يجب صرف الوقت لها وقول الباري عز وجل: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ جِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾⁽⁶⁸⁾ ويصور القرآن الكريم لسان حال الغافل حين يأتيه الموت ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾⁽⁶⁹⁾.

ورد عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم قوله الكريم (عجب لغافل و ليس بمغفول عنه)⁽⁷⁰⁾ بمعنى انه سيحاسب مستقبلاً على غفلته تلك و اهماله الوقت وعدم اشغال عمره بالعمل النافع له و للأخرين وجاء عن الامام علي عليه السلام من حاسب نفسه ربح و من غفل عنها خسر)⁽⁷¹⁾ و اولى صور هذه المحاسبة عن تصرف الايام والليالي دون عمل مجدي و اثر واضح وفعل خير منظور فيذهب الوقت هباءاً دون نتاج و فاعلية ذلك بسبب الغفلة وعدم الاهتمام لما تم تبذيره من عمر الانسان دون طائل .

ويرى الامام الباقر عليه السلام في وصيته ان من علاج الغفلة شدة التيقظ القائم على اساس العمل الخالص المخلص الذي من اولى مقوماته استعمال العلم فهو من اسباب دفع الشر عن الانسان ومفهوم اليقظة عند الامام عليه السلام قائمة على الاستثمار الامثل للحياة في مختلف اوقاتها و مراحلها فليس اليقظة مجرد تفكير نظري فقط بل هي امر عملي في اشغال حياة الانسان بعمل دؤوب

مخلص قوامه العلم ونظرية العمل بالعلم من الاطروحات المهمة التي دعى اليها ائمة اهل البيت عليهم السلام حتى يكون العلم نافعاً مفيداً وهذا لا يتم الا من خلال نشره للأخريين وفائدة المجتمع من و يأتي في ذلك قول الامام علي عليه السلام (العلم مقرون بالعمل من علم عمل و العلم يهتف بالعمل فأن اجابه و الا ارتحل عنه) (72) وجاء عن الامام الصادق عليه السلام حديث رسول الله الاكرم (العلم الذي لا يعمل به كالكنز الذي لا ينفق منه اتعب صاحبه في جمعه و لم يصل الى نفعه) (73) وهكذا نرى ان نشر العلم لغرض الفائدة هو استثمار امثل للوقت .

ومن مقومات اليقظة كما اشار اليها الامام الباقر عليه السلام هي صدق الخوف (74) ولعله الخوف من غضب الله حين ينتهي عمر الانسان فينزل به الموت وهو في وضع ليس فيه رضا الله فاليقظة هنا مبنية على الخوف الصادق ان تنتهي الحياة دون عمل مثمر وافعال خير اذ لا يجب ان تكون خشية الانسان نظرية مجردة بل يجب ان تكون اثره واضحة على سلوكه.

كذلك الحذر من الدين وزيبتها وغلبة الهوى على هذا الانسان وعدم استخدام العقل كسلاح لمقاومة هذا الهوى (75)

وهنا نقف عند الهوى قليلاً في بيان ضرره اذ اولى صور الضرر ضياع الوقت بالانغماس بالملذات والشهوات و هنا ضعف اليقظة و تسير الغفلة و الوقت يمر سريعاً و قد حذر سبحانه و تعالى اتباع طريق الهوى الذي يطلق للنفس ما ريد وتشتت من مغربا الدين و بهرجتها دون رادع ووازع فقال جل وعلا

(نَا نَا نَه نَه نُو نُو نُو نُو ۝ نُو نُو نُو نُو ۝ مِى ۝ ٤١) (76) وقوله تعالى (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥٠) (77) ويرى الامام علي عليه السلام ان حفظ العقل بمخالفته الهوى والعزوف عن الدنيا (78)

ومن كتابه قاضيه شريح بن الحارث لما بلغه انه ابتاع دار بثمانين دينار وقد وبخه على ذلك (شهد على ذلك العقل اذا خرج من اسر الهوى و سلم من علائق الدنيا) (79) اذن هكذا نصل الى حقيقة مفادها ان من اقوى طرق اليقظة في ضمان الوقت هو الابعاد عن الهوى و تحكيم العقل في حياة الناس جميعاً ويستمر الامام الباقر عليه السلام منوهاً الى اهمية الوقت في حياة الانسان فخطب جابر بن يزيد قائلاً: (واستبق خالص الاعمال ليوم الجزاء) (80) والسبق او الاستباق هي دعوة منه عليه السلام في معالجة الزمن ومسارعه بأداء احسن الاعمال و اخلصها وهو مصداق لقوله تعالى (.. لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ... ٢) (81) فالمسابقة في خالص العمل هو عقد النية مخلصه لله تعالى افراغ هذا العمل من الشوائب

و المفاصد قال تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ... ٥) (82) و في ذلك قال الامام الصادق في تفسير قوله (ليلوكم أيكم احسن عملاً) ليس المقصود بكثرة و انما النية الصادقة و الاخلاص و الاتقان و الابقاء عليه حتى يخلص فهو اشد من العمل نفسه حيث النية افضل من العمل (83).

ومن دواعي استثمار الوقت في الوصية الباقرية القناعة والزهد وعدم الطمع والتكالب على الدنيا (84) فذلك مدعاة لتوفير الوقت واستفادة في الاعمال الصالحة.

وحدث الامام الباقر عليه السلام موصياً جابر بن يزيد ترك الاعجاب بالنفس (85) من خلال معرفة هذه النفس فقراءة الانسان نفسه هي من موجبات الحيلولة دون استكبار هذا الانسان و اعجابه بنفسه فالاعجاب بالنفس من اثارها هو رضاء الفرد عن نفسه مزهواً بعمله وهذا تبذير للوقت فليس على الانسان ان يكتفي بما عمل وهذا ما اشار اليه الامام الباقر عليه السلام في الوصية نفسها قائلاً (يا جابر استقل من نفسك كثير الطاعة لله ازرأ على النفس وتعرضا للعفو) (86) فلا يجب على الانسان الرضا بما عمل وهؤلاء هم عباد الله الحقيقيون كما قال الامام علي عليه السلام (ان لله عباداً ... لا يستكثرون له الكثير و لا يرضون له من انفسهم بالقليل يرون في انفسهم انهم اشرار وانهم لأكياس ابرار) (87) وقال رسول الله في صفة العاقل: (يستكثر قليل الخير من غيره و يستقل كثير الخير من نفسه) (88)

و اوضح الامام عليه السلام بهذه الوصية مسألة مهمة فخطب جابر بن يزيد وهو ايضاً في موضوع الوقت قائلاً: (واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم وكثرة الاستغفار فالحديث هنا عن وقت صرف ومرحلة من العمر باقتراف الذنوب فعلاج ذلك يمكن بشدة الندم و عظيم التوبة وكثرة الاستغفار القائم اصلاً على عدم تكرار ما سبق و تبذير الوقت في اعمال غير صحيحة و هنا يدعو الامام عليه السلام الى اهمية مراجعة الماضي و الافادة من عبره و تجاربه وهو ما يدخل ضمن ما نسميه ان جاز لنا التعبير بالتربية التاريخية ذلك ما اوضحه الامام عليه السلام بعد ذلك مباررة في هذه الوصية (وتعرض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة و استعن على حسن المراجعة بخالص الدعاء و المناجاة في الظلم) (89)

وفي مراجعة النفس ومحاسبتها على عملت في الماضي قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَرْحَمْنَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨) (90)

وتعني أن يتعلق الانسان بالدنيا وينغمس في ملذاتها لكنه يدرك بعد حين عندما يحل به الموت بغتة يدرك خسراته الحقيقية وتكمن في أنه لم يعطي للوقت مكانته او منزلته التي يستحقها، أما الآخر الذي فاز بالعلم وأقنى عمره في العمل الصالح ومرضاه الله فكسب هو وأفاد الآخرين ، فالتفريط في الوقت كما صوره الإمام هو ميدان يحصد فيه الانسان الخسران والندم .

الخاتمة

من النتائج المستخلصة كخاتمة للبحث هذا الحرص الواضح للإمام محمد الباقر عليه السلام في الحفاظ على الانسان وجوداً وكرامة وأثراً مهماً فسلامته من العلل والأفات هدفاً كان ينشده عليه السلام فهكذا كان درسه التربوي يهدف الى تحقيق أمرين مهمين الأول أن يعرف هذا الإنسان كيف عليه حماية نفسه من ارتكاب الذنب والخطيئة حتى يصبح عنصراً فاعلاً وبالتالي يعمل على القيام بما ألقى عليه من مسؤولية اعمار الارض لما استخلفه فيها ومن هذا المنطلق تشهد جهود واضحة للإمام الباقر وهو يحث الناس عن القيام حيث مسؤولياتهم .

أما الأمر الثاني الذي يشتق من هذا كله هو دعوة الامام الصادق الواضحة والمستمرة في وجوب مساعدة المجتمع لبعضهم الآخر في سبيل خلق مجامع تسوده المحبة وتنتشر فيه قيم الخير والنماء ففره عليه السلام يؤكد على قيم الصبر وفعل الخير ومساعدة الآخرين ولابتعاد عن المال الحرام وعفة الفرج كذلك الحث على الصحة الصالحة.

ولعل أهم ما خلص إليه البحث هذا التأكيد المتواتر على أهمية استثمار الوقت الذي تعج فيه هذه الوصية الكريمة فقيمة الوقت حاضرة بشكل واضح في فقرات الوصية فأصل كل عمل طيب وخير أوصى به الامام عليه السلام إنما قوامه الوقت في الحرص عليه وعدم التفريط به يقابله في الوقت نفسه التحذير من أعمال وخطوات هي من فعل الشيطان تأخذ بالفرد نحو مهاوي الردى والضياح فالحسرة كل الحسرة في وقت يضيع ويبذر في أعمال طالحة وذنوب مخزية .

ومن هنا نعرف جيداً كيف يمكن توظيف تراث أئمة أهل البيت في خدمة حاضرتنا والعمل لبناء مستقبل أفضل فيأتي تأكيد الامام الباقر عليه السلام على وجوب استثمار الوقت الذي وكما نرى في عالمنا اليوم وصول الامم الى معالي الرقي والتقدم لأنها استفادت من وقتها وسخرته لصالح رقي الانسان وتقدمه .

ومن صور استثمار الوقت في هذه الوصية المباركة قوله عليه السلام (اياك والتفريط عند امكان الفرص فانه ميدان يجري لأهله بالخسران)⁽⁹¹⁾

وفي هذا تحذير بدأه الامام بكلمة إياك التي اراد بها عدم ضياع الفرصة واهمية انتهازها بالشكل الصحيح فالفرصة التي تأتي قد لا تأتي لاحقاً وها يدخل عامل الوقت عنصراً مهماً في الحصول على هذه الفرصة واستغلالها لصالح الانسان والمجتمع وتحدث ائمة اهل البيت عليهم السلام عن اهمية المبادرة في اقتناص الفرص والحرص على عدم ضياعها وقبل ذلك حذر الله سبحانه وتعالى من مغبة ضياع الوقت (يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ٢٤) ⁽⁹²⁾

فهنا يتحسر هذا الكافر على ما أضاعه من وقت بعيداً عن العمل الصالح وفي نفس المعنى قال رسول الله ﷺ بضرورة انتهاز الفرص (فبادروا العمل وأنتم في مهل الأنفاس، قبل أن تأخذوا بالكظم فلا ينفع الندم)⁽⁹³⁾ وحديثه أيضاً (من فتح له باب من الخير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يُغلق عنه)⁽⁹⁴⁾ وورد عن الامام علي عليه السلام : (من آخر الفرصة من وقتها فليكن على ثقة من فوتها)⁽⁹⁵⁾ وجاء عن الامام الصادق عليه السلام: (من انتظر بمعالجة الفرصة مؤجلة الاستقصاء سلبته الايام فرصته لأن من شان الأيام السلب وسبيل الزمن الفوت)⁽⁹⁶⁾.

ومن مقولات الامام الباقر عليه السلام في هذه الوصية: (لا يقين كاستصغار الدنيا ولا شرف كبعد الهمة ولا تنافس كالتنافس في الدرجات العليا ولا مصيبة كدوام الذنب والمعصية ولا معصية كحب البقاء)⁽⁹⁷⁾ وإذا تأملنا هذه المقولات سنجد أن الزمن أو الوقت يدخل عنصراً فاعلاً فيها فحين يوظف لخدمة الانسان والمجتمع يكون وقتاً منتجاً ذا منافع ومعاني ولكن إذا بُذِر في العمل غير الصالح فإنه يكون وبالاً ومصيبة على صاحبه ومن الالتفاتات الجميلة للإمام الباقر عليه السلام من تلك المقولات ربطه بين البقين واستصغار الدنيا والمقصود بذلك رؤية الدنيا صغيرة في بهرجتها وزخارفها وكبيرة بفعل الخير الذي يحتاج مزيداً من الوقت و يرتبط مع ذلك بُعد همة فاعل الخير وقوة ارادته وفي ذلك نرى كيف أن الامام عليه السلام ربط بين بُد الهمة ومقام الشرف الذي هو محل فخر الانسان وتطرق عليه السلام في قُصر الأمل في الدنيا معتبراً ذلك من مظاهر الزهد الذي يؤثر في اعتقاد الانسان بضرورة تسخير الوقت واستثماره لأنه لا يعرف متى يأتي أجله وينتهي أمله من هذه الحياة، وهنا ندرك أهمية إيمان الانسان بقصر أمله والتفكير في دنو أجله في أي وقت وبناءً على ذلك يرى الامام الباقر عليه السلام في عبارته الخالدة (لا معصية كحب البقاء)⁽⁹⁸⁾

- (22) ابن حنبل، المسند ، الحديث 3809.
- (23) عبد الرسول، المعجم الموضوعي لكلمات الامام الباقر ص125.
- (24) المجلسي، بحار الانوار ،ج75، ص189.
- (25) عبد الرسول، المعجم الموضوعي لكلمات الامام الباقر ص475.
- (26) عبد الرسول، المعجم الموضوعي لكلمات الامام الباقر ص165.
- (27) الكهف، الآية 107.
- (28) الليثي، عيون الحكم و المواعظ ص58.
- (29) ابن شعبه، تحف العقول ،ص269.
- (30) عبد الرسول، المعجم الموضوعي لكلمات الامام الباقر ص149.
- (31) الكليني، الكافي ،ج2، ص192.
- (32) المصدر نفسه، ج8، ص221 .
- (33) المصدر نفسه، ج2، ص195.
- (34) المصدر نفسه، ج2، ص448 .
- (35) المجلسي، بحار الانوار ،ج59، ص269.
- (36) الحر العاملي، وسائل الشيعة ،ج21، ص490.
- (37) الصدوق، الامالي ،ص326.
- (38) الكليني، الكافي ،ج2، ص236.
- (39) الكليني ، الكافي ،ج2، ص105 .
- (40) ابن شعبة الحراني، تحف العقول ،ص284.
- (41) المجلسي، بحار الانوار ،ج75، ص162.
- (42) المائدة، الآية 48.
- (43) المؤمنون، الآيات 57-61.
- (44) فاطر، الآية 33.
- (45) مسلم ، الصحيح ، الحديث ، 118 .
- إذن توصية البحث تكمن في افادة الشباب من هذه الاثرءات القيمة والتوجيهات الحسنة في هذه الوصية الخالدة.
- الهوامش**
- (1) الكليني، الكافي ،ج1 ص469.
- (2) الخوئي معجم رجال الحديث ج4، ص388. جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي ت 132 هـ /750م تابعي مفسر من تلاميذ الامام الباقر من خواص اصحاب الامام الصادق عليهما السلام تسعه من رواة الحديث من من فقهاء الكوفة المشهورين.
- (3) المفيد، الامالي ، ص107 / الطوسي ، الامالي ، ج1 ، ص192 .
- (4) الزمر، الآية 10.
- (5) الكليني، الكافي ،ج2 ، ص89.
- (6) الامام علي، نهج البلاغة ، حكمة 118.
- (7) الكليني، الكافي ،ج2، ص79.
- (8) المصدر نفسه، ج2 ، ص79.
- (9) المصدر نفسه ،ج2، ص79.
- (10) ج2، ص79 المصدر نفسه.
- (11) البيهقي ، المحاسن ،ج1 ، ص455.
- (12) الاحزاب، الآية 35.
- (13) المؤمنون، الايتين 5-6.
- (14) الاثري، تنبيه الخواطر ، ج2 ، ص30.
- (15) الديشيري، ميزان الحكمة ،ج3، ص2008.
- (16) المجلسي، بحار الانوار ،ج10، ص368.
- (17) الكليني، الكافي ،ج2، ص79.
- (18) البقرة، الآية 188.
- (19) البقرة، الآية 275.
- (20) البخاري، الصحيح / الحديث 2083.
- (21) الاسراء، الآية 32.

- (46) مسلم ، الصحيح ، الحديث ، 118 .
- (73) المجلسي، البحار ، ج2، ص37.
- (47) ابن شعبه، تحف العقول ، ص284.
- (74) ابن شعبه، تحف العقول ، ص284.
- (48) الامام علي، نهج البلاغة ، الخطبة 23.
- (75) المجلسي، البحار ، ج75، ص162.
- (49) الامام علي، نهج البلاغة ، الخطبة 190.
- (76) الايتان ، 39 و40 النازعات.
- (50) المجلسي، بحار الانوار ، ج68 ، ص215.
- (77) القصص، الآية 50.
- (51) الحر العاملي، وسائل الشيعة ، الحديث 282.
- (78) الامدي، غرر الحكم ، 4921.
- (52) ابن شعبه، تحف العقول ، ص284.
- (79) الامام علي، نهج البلاغة ، الكتاب 3.
- (53) البخاري، الصحيح ، الحديث ، 6412.
- (80) ابن شعبه، تحف العقول ، ص284.
- (54) السيوطي، الجامع الصغير ، الحديث 1077.
- (81) الملك، الآية 2.
- (55) المجلسي، بحار الانوار ، ج3 ، ص75.
- (82) البيهقي، الآية 5.
- (56) المجلسي، بحار الانوار ، ج39 ، ص75.
- (83) الكليني، الكافي ، ج2 ، ص16.
- (57) الامام علي، نهج البلاغة ، الخطبة 64.
- (84) ابن شعبه، تحف العقول ، ص284.
- (58) الامدي، غرر الحكم ، 1066.
- (85) المصدر نفسه، ص284.
- (59) الامام علي، نهج البلاغة ، الخطبة 150.
- (86) الطبرسي، مستدرك الوسائل ، ج1، ص131.
- (60) المجلسي، بحار الانوار ، ج2 ، ص88.
- (87) الطبرسي، المصدر نفسه ، ج1 ، ص132.
- (61) ابن شعبه، تحف العقول ، ص284.
- (88) المجلسي، البحار ، ج75، ص162.
- (62) المجلسي، بحار الانوار ، ج2 ، ص88.
- (89) ابن شعبه ، تحف العقول ، ص284.
- (63) الكليني، الكافي ، ج5، ص85.
- (90) الحشر، الآية 18.
- (64) ابن منظور، لسان العرب ، مادة غفل.
- (91) بن شعبة الحراني، تحف العقول ص284.
- (65) الراغب الاصفهاني، المفردات ، ص69.
- (92) الفجر، الآية 24.
- (66) الجرجاني، التعريفات ، ص162.
- (93) المجلسي، البحار ، ج77 ص183.
- (67) الحجر، الآية 3.
- (94) المتقي الهندي، كنز العمال ، الحديث رقم 43134.
- (68) الأنبياء، الآية 1.
- (95) الأمدي، غرر الحكم، الحكمة 8795.
- (69) المؤمنون، الآيات 99-100.
- (96) المجلسي، البحار ، ج78 ص181.
- (70) المفيد، الامالي ، ج9، ص74.
- (97) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص284.
- (71) ابن شعبه، تحف العقول ، ص284.
- (98) المصدر نفسه، ص284.
- (72) الامام علي، نهج البلاغة ، الحكمة 366.

المصادر

أولاً:- القرآن الكريم

ثانياً:- المصادر الأولية

- الاشتري:- ورام بن أبي فراس (ت 605 هـ / 1209م)
- تنبيه الخواطر (بغداد- 2012م)
- الأمدى:- عبد الواحد بن محمد (ت 550 هـ / 1155م)
- غرر الحكم ودرر الكلم - (بيروت 1992)
- البخاري:- محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ / 869م)
- صحيح البخاري (بيروت - 1981)
- البيهقي:- إبراهيم بن محمد (ت 632 هـ / 1235م)
- المحاسن والمساوئ (القاهرة - 1961)
- الترمذي:- محمد بن عيسى (ت 279 هـ / 892م)
- السنن الكبرى (بيروت، 1983)
- الجرمانى: علي بن حماد (ت 816 هـ / 1414م)
- التعريفات (بيروت - 1983)
- الحر العاملي:- محمد بن الحسن (ت 1104 / 1693م)
- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة (قم - 1993)
- ابن حنبل:- أحمد ت 241 هـ / 854 م
- المسند - دار صادر (بيروت - د ت)
- الراغب الاصفهاني:- الحسين بن محمد (ت 502 هـ / 1118م)
- (المفردات في غريب القرآن) (القاهرة - 1961)
- ابن شعبة الحراني:- الحسن بن علي (ت 4 هـ / 10م)
- تحف العقول عن آل الرسول (قم - 1984)
- الصدوق:- محمد بن علي (ت 381 هـ / 991م)
- الأمالي (قم - 1997)
- الطوسي:- محمد بن الحسن (ت 460 هـ / 1067م)
- الأمالي (قم - 1994)
- الامام علي بن ابي طالب:- (نهج البلاغة - جمع الشريف الرضي)
- تعليق وفهرسة محمد عبدة (بيروت - 1985)
- الكليني:- محمد بن يعقوب (ت 329 هـ / 941 م)
- الكافي:- تحقيق علي أكبر الغفاري (طهران - 1388 هـ)
- الليثي:- علي بن محمد (ت 6 هجري / 11 ميلادي)

عيون الحكم والمواعظ

(قم - 1376 هـ)

- المجلسي:- محمد باقر (ت 1111 هـ / 1700 م)
- بحار الأنوار/ تحقيق إبراهيم الميانجي ومحمد باقر البهبودي (بيروت - 1983)
- مسلم:- أبو الحسن بن الحجاج (ت 261 هـ / 874 م)
- صحيح مسلم (بيروت - د ت)
- المفيد:- محمد بن محمد بن النعمان (ت 413 هـ / 1022 م)
- الأمالي (قم - 1993)
- ابن منظور:- جمال الدين محمد (ت 711 هـ / 1311م)
- لسان العرب (قم - 1985)
- النوري:- الميرزا الطبرسي (ت 1320 هـ / 1903 م)
- مستدرك الوسائل (قم - 1987)

ثالثاً: المصادر الثانوية

- الخوئي:- أبو القاسم
- معجم رجال الحديث (النجف الاشرف ، 1993)
- الريشهري:- محمد محمدي
- ميزان الحكمة
- دار الحديث (قم - د ت)
- زين الدين:- عبد الرسول
- المعجم الموضوعي لكلمات الامام الباقر عليه السلام (د - م ، 1444 هـ)